منهج

وإنك لعلى خلق عظيم



تفسير سورة القلم الجزء الثاني

للشيخ هاني حلمي حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وصلَّى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وآله المستكملين الشرف، ثمَّ أما بعد ...
فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علمًا ينفعنا،

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا.

نستكمل إن شاء الله تعالى تدبر سورة القلم، ونحن قد شرعنا في مدارسة هذه السورة العظيمة الجليلة، وتدارسنا الآيات الأول من صدر هذه السورة، وهي الآيات التي نزلت بمكة، ثم جاء المقطع الثاني في هذه السورة، وقد نزل بالمدينة حاكيًا قصة أصحاب الجنة، أصحاب الجنة الذين قابلوا نعمة الله عليهم بمنع حق المساكين في هذه النعمة، واحتالوا لأجل منعهم، فعاقبهم الله عز وجل بنقيض قصدهم.

- قصة أصحاب الجنة

ربنا تبارك وتعالى حكى لنا هذه القصة، ولم يرد لها ذكر في أي من كتب الأولين، فقصة أصحاب الجنة من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله تبارك وتعالى.
وقصة أصحاب الجنة مرتبطة بالمحور الرئيسي لسورة القلم، وهو المحور الذي ركز على قضايا العقيدة الإسلامية كما هو شأن القرءان المكي، نعم سورة القلم فيها آيات مكية وفيها آيات مدنية، لكن العمود الفقري لها -بلا شك- قضايا الإعتقاد، وفي مقدمتها الإيمان بالله ربًا واحدًا أحدًا فردًا صمدًا، والكلام عن عقيدة الإسلام في القضاء والقدر، واليوم الآخر. فقضايا الإعتقاد هي المحور الرئيسي لهذه السورة.

- أسباب النـــزول

جاءت هذه القصة للرد على ابى جهل"عمرو بن هشام" الذي رفض الإسلام تعصبًا وتكبرًا وتجبرًا، وانطلق من كونه زعيم لبني "مخزوم" من "قريش"، وكون النبي محمد ﷺ من بني عبد "مناف".

وردت قصته مع "الأخنس شُرَيق" و " أبي سفيان بن حرب"، حين خرج ثلاثتهم منفردين يستعمون القرءان من تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خفية على مدار ثلاث ليال، وهم في كل ليلة يتواعدون على عدم العودة خشية أن يراهم الناس، فيقع في نفوسهم شيء من الميل إلى قبول الإسلام دينًا، فلما سأل الأخنس أبا جهل رأيه فيما سمع من القرءان، كان جوابه:" ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركبن وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثله؟ هذا والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه".

فكان من دوافع رفض مشركي قريش الإسلام أن التوحيد الذي جاء به الإسلام يهدم كل صور الشرك التي كانوا عليها، وقد كانوا ضلوا بهذه الوثنية، وملئوا الأرض إنحرافًا وفسادًا، فصعب عليهم بعد أن سادوا قبائل العرب بمثل هذه العقيدة الفاسدة، أن يستجيبوا لعقيدة التوحيد.

فكان من دوافع مقاومة كفار ومشركي قريش دعوة النبي محمد ﷺ عدد من الإعتبارات الإجتماعية، كان في مقدمتها خوفهم من انتزاع الزعامة من بين مشايخهم، لأن النبي محمد ﷺ مع علو قدره وشرف نسبه، لم تكن له زعامة إجتماعية فيهم، بينما كانت الزعامات الإجتماعية موزعة بين مشايخ كل من مكة والطائف. فكانوا يخشون أن ينتزع منهم ذلك { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف : 31]، ولأنهم قابلوا نعمة الله عليهم بهذا البطر وبهذا التعالي والكبر، ضرب القرآن لهم مثلاً بقصة أصحاب الجنة.

وهي قصة تذكر بعاقبة البطر بالنعمة، و بخطر مقابلة النعم بالإستعلاء والكبر بدلاً من الحمد والشكر، وتُأكد أن ما وهبهم الله من أموال وبنين هو من ضروب الإبتلاء لهم، ولذلك صُدرت هذه الآيات بقصة أصحاب الجنة بقول الله تبارك وتعالى: { إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ} [القلم : 17،18].

{إنا بلوناهم}: يريد أهل الجنة، { بلوناهم}: البلاء أي الإختبار، إختبارناهم بالنعم من الأموال والبنين وغير ذلك، فأعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليكون حالهم البطر، فلما بطروا وعَادَوا النبي صلى الله عليه وسلم، إبتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرهم عندهم.

وذلك أنها كانت هذه القصة بأرض اليمن، وقعت بمكان يدعى (ضوران) قريبًا من أرض صنعاء، فكان خبر أولئك معروفًا عندهم، وذلك أنه كان رجل يؤدي حق الله عز وجل في ماله، ثم لما هلك ومات إذا بأبنائه يتواعدون على ألا يعطوا الفقراء والمساكين ما كان يعطي أباهم من زكاة هذه الأرض، هذه القصة بلا ريب وبلا شك تحدثنا عن خُلق من أخلاق أهل النار، عن خلق تدعوا الملائكة على أهله كل صباح: " اللهم أعطي منفقًا خلفا، وأعطي ممسكًا تلفا"، فضلاً عما يجلبه هذا الخُلق الذميم من اللوم والحسرة في الدنيا،

وسوء العاقبة في الآخرة، إنه البخل، إنه الشح، قصة تعلمنا درسًا عظيمًا أن من أسباب دوام النعم وازديادها ونموها والبركة فيها: أن نحسن إلى خَلق الله، وأن من أسباب زوال النعم وحلول النقم في الدنيا- فضلاً عن العذاب الشديد في الآخرة- ألإساءة إلى خلق الله وظلمهم.

قصة فيها العبرة ضربها الله كما ذكرنا لأهل قريش، ليعلموا هذه السنة الماضية السنة الكونية، في أن من منع رفده، منع عطاءه كان جزاءه من جنس عمله.

○ القـــصة

تعالوا نتعرف على هذه القصة العظيمة التي تحمل في طياتها معاني سامية وعبرًا عظيمة، ففي أرض اليمن في قرية (ضوران) -على ستة أميال من صنعاء- عاش أحد الصالحين الأغنياء، وكان على دين أهل الكتاب، وكانت له جنة- كانت له بتعبيرنا الحالي له(عزبة)- فيها أنواع من الأشجار المثمرة، وجداول الماء العذب تسقيها، فتعطي هذه الأشجار فواكه لذيذة وكثيرة ومتنوعة، كان هذا الرجل الصالح لا يُدخل بيته ثمرة منها حتى يقسم الثمار ثلاثة أقسام: قسم للفقراء والمساكين، وقسم لأهل بيته، وقسم يرده في المحصول ليزرع به الأرض، لذلك بارك الله له في رزقه وعياله.

فلما مات هذا الرجل الصالح وورثه بنوه، وكان له خمسة من البنين، فحَملَت جنته في تلك السنة- التي هلك فيها أبوهم- حملًا لم تكن حملته من قبل ذلك، أي أعطت عطاءً وافرًا كبيرًا، فراح الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر، فاشرفوا على ثمر ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم، فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا، وقال بعضهم لبعض: لقد كان أبونا أحمق، إذ كان يصرف من هذه الثمار للفقراء، دعونا نتعاهد في ما بيننا ألا نعطي احدًا من فقراء المسلمين فى عامنا هذا شيئًا، حتى نستغني ويكثر مالنا.

فرضي بذلك منهم أربعة وسخط الخامس، ونصحهم أن يسيروا على ما سار عليه أبوهم حتى يبارك الله لهم في رزقهم وجنتهم، لكنهم بطشوا به حتى ضربوه ضربًا مبرحًا، فلما أيقن أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم، كارهًا لأمرهم غير طائع لهم.

فراحوا إلى منازلهم، ثم أقسموا على قطف ثمار مزروعاتهم دون أن إعطاء الفقراء شيئًا منها، وتعاهدوا على ذلك، ورفعوا شعار " لا للفقراء بعد اليوم، لا للمساكين بعد اليوم، لا للمحتاجين بعد اليوم".

وغفل أصحاب الجنة عن أن الله يسمع سرهم ونجواهم، وأن الله علام الغيوب، لقد غاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى يثيب أصحاب القلوب الطيبة الذين في قلوبهم رقة ورأفة ورحمة للمؤمنين، يرحم الله من عباده الرحماء، غاب عن أصحاب الجنة الذين يدبرون ويخططون لحرمان الضعفاء والمساكين أن الجزاء من جنس العمل، وأنه كما تدين تدان، فمن أكرم الناس أكرمه الله ومن حرمهم حرمه الله، ومن منعهم الخير منعه الله، كما ذكر

سبحانه وتعالى في صفات "الوليد بن المغيرة" {مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم : 12]. وهذا وجه الارتباط بين القصة وبين ما ذُكر قبلها، فجزاء سيئة سيئة مثلها.

تعالوا لنرى الذين أضمروا الشر وعزموا على حرمان المساكين ما الذي حصل لجنتهم و بستانهم وحديقتهم؟ {وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ} [الأعراف : 4]، { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ} [الأعراف : 97].

ياراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج الـنـار

واسمعوا إلى كلام ربنا تبارك وتعالى بقلوب مصغية { إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} [القلم : 17]، أقسموا حلفوا "لَيَصْرِمُنها" ، الصّرْم هو قطع الثمار وجذّها، أقسموا على قطع الثمار وحصد المحصول مصبحين- وقت الصباح- ، وأرادوا بذلك أن يسبقوا المساكين إلى حديقتهم لئلا يعطوهم حقهم فيها من الصدقة، وهو الذي أوجبه الله عز وجل عليهم {..وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ..} [الأنعام : 141]، { وَلَا يَسْتَثْنُونَ} [القلم : 18] حتى كلمة إن شاء الله لم يقولوها، فالمعنى أنهم كانوا عازمين على الفعل ومضمون الآيات هو إخبار الله تبارك وتعالى عن قبح فِعَالِهِم، وقوة تصميمهم، وذلك باعتمادهم على أنفسهم وغفلتهم عن ربهم، فلذلك أقسموا دون استثناء، دون أن يقولوا إن شاء الله على هذا الفعل "ولا يستثنون"، فهذا لبيان حالتهم العجيبة في هذا التصميم على البخل.

فكان عاقبة ذلك ما جاء في قوله تبارك وتعالى: { فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ،فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : 19،20]، أصابتها آفة عظيمة من رب العالمين من جنس عملهم، أصابتها آفة سماوية عظيمة أبادتها وأتلفتها، لأنه كان أبلغ في العبرة بهم أن يعرفوا أن ربنا تبارك وتعالى هو الذي قدَّر لهم هذا الخير وهو القادر على أن يسلبهم إياه، " فطاف عليها طائف" قيل نزلت نار فأحرقتها، { فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} فحلت بهم العقوبة على حين غِرة، فجأة، قال الله تبارك وتعالى "فأصبحت"- أي هذه الحديقة- صارت كالصريم، "الصريم" الليل البهيم، وهذا دِلالة على شدة إحتراقها وشدة سوادها.

فهذا ما آل إليه أمرهم، هكذا صارت كالصريم، كالليل المظلم لما احترقت، "فأصبحت كالصريم".

{ فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ} [القلم : 21]، أي نادوا بعضهم بعضًا بتحريض واندفاع وقت الصباح، { فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ،أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ} [القلم : 22]، " أَنِ اغْدُوا" هذا دلالة على الإقبال، "أَنِ اغْدُوا عَلَى " هذا للدلالة على إستيلائهم على هذا المحصود هذه الثمار، لذلك قال: " أَنِ اغْدُوا عَلَى" وليس إلى،" أَنِ اغْدُوا عَلَى "

ليستولوا عليه وليس أن اغدوا إلى حرثكم، "إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ" أي مريدين لصرمه، لقطعه وجني ثماره، { أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ}.

{فَانطَلَقُوا..} أي ذهبوا، { وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} [القلم : 23] أي يتناجون حال خروجهم إلى حديقتهم بصوت خافت، لئلا يسمعهم أحد من المساكين فيتبعهم، وتواصوا فيما بينهم { أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ} [القلم : 24]، فانظر كيف أسندوا الفعل إلى المسكين، ولم يقولوا لا تدخلوا مسكينا، وذلك والله أعلم لأن المراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه منه، كأنهم قالوا فيما بينهم: لا تمكنوه من الدخول، { أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ} لا تمكنوا أي من المساكين أن يأتي ويطالب بما كان يأخذ من قبل من أبينا، وهذا من خبثهم وبخلهم وشحهم.

لذلك قال الله بعد هذا: { وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ} [القلم : 25] أى انطلقوا وكلمة "حرد" فسرت بالقوة والقصد والمنع والغضب، والآية تحتمل هذه المعاني جميعا، وإعمالاً لما قلناه من قبل في قواعد التدبر، إعمالاً بكل ما تحتمل اللفظ من معاني، وطالما كانت غير متعارضة أن هذا كله مقصود، "وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ" فكانوا قاصدين، وكانوا متعمدين منع أولئك، وكانوا في قوة و غضب على الفقراء، مصممين على منعِهم حقهم، { وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ}.

{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} [القلم : 26] كم من إنسان في دنيا الناس اليوم كان يملك ما يملك، ولكن بسبب الذنوب ضاع كل شيء، كم من إنسان يملك العقارات والسيارات، وبسبب الربا مثلاً يضيع كل شيء، كم من إنسان كان يملك الملايين، فعندما رفض إخراج الزكاة من ماله ضاع هذا المال.

فيا الله أي كارثة هذه الإنسان ينام وهو يملك الملايين، ويستيقظ في الصباح ليجد نفسه لا يملك شيئًا، أخرج "بن ابن حاتم" عن "بن ابن مسعود" رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إياكم والمعاصي، إن العبد ليُذنب فينسى به الباب من العلم، وإن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، وإن العبد ليُذنب الذنب فينسى فيحرم به رزقا قد كان هيء له"، ثم تلى ﷺ {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : 19]".

حُرموا خير جنتهم بذنوبهم، ولم ينفعهم هذا المخطط الخبيث الذي صنعوه لمنع الفقراء والمساكين، "فلما رأوها"، فلما سلكوا الطريق- طريق جنتهم- ووجدوها قد حل بها ما حل، ونزل بها ما نزل، ظنوا أنهم قد أخطئوا الطريق، وأن هذه لا يمكن أن تكون جنتهم، { قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} [القلم : 26]، لا بد أن يكون الأمر غير ذلك، إنا لتائهون، لقد أخطأنا الطريق، لكنهم أعادوا النظر، وأعادوا المرة تلو المرة، وإذا بالطريق هو الطريق، وإذا بالجنة هي جنتهم، وإذا بها قد احترقت، وقد حل بها ما حل.

فاستفاقوا، وقالوا: { بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [القلم : 27]، إنها جنتنا ولكنا حرمنا لعزمنا على حرمان الفقراء والمساكين، فكان الجزاء من جنس العمل، نعم { .. وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ..} [فاطر : 43]، نعم { مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} [النساء : 123].

فحينئذ { قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ..}، فتكلم هذا العاقل فيهم الذي نصحهم في بداية الأمر، ولكنهم لم يستجيبوا حتى هموا بقتله، فقال مذكرًا لهم: { ..أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم : 28] ، ألم أذكركم من قبل بقولي لكم " لولا تسبحون"، هلا قلتم إن شاء الله، ألم أقل لكم اتقوا عذاب الله، ألم أقل لكم لا تحرموا الفقراء والمساكين من حقهم، ألم أقل لكم تصدقوا على الفقراء كما كان يفعل أبونا من قبل.

وحينئذ عرفوا أن أباهم يحمي أموالهم بالصدقات على الفقراء والمساكين، وعرفوا أن الله بارك لأبيهم في هذه الجنة لإخراجه حق الفقراء، وهم بسبب بخلهم ومنعهم حق الفقراء والمساكين عاقبهم الله بهذه العقوبة، فراح بعضهم يلوموا بعضًا، أنت الذي كنت الذي كنت صاحب هذ الفكرة، والآخر يقول: وأنت الذي وافقت عليها، والثالث يقول: وأنت الذي شجعتنا عليها. قال الله: { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ} [القلم : 30]، بعد أن قالوا: { قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ، عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ، كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : 29- 33].

نعم، فأقبل بعضهم على بعض يلوموا بعضًا، وقالوا يا ويلنا يا هلاكنا، وهذا نداء يُراد به التحسر منهم، إنا كنا طاغين، مجاوزين الحد في مخالفة أمر الله، ومنع الفقراء حقهم، ثم إنهم لجئوا إلى الله بالدعاء، فقالوا {عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا..} أي في الدنيا، وهذا هو الظاهر، {إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ} أي لا إلى غيره، إنا إلى ربنا راغبون في العفو، طالبون الخير.

وبعد أن ذكر الله خبرهم، وما حل بهم من العقوبة قال: { كَذَلِكَ الْعَذَابُ..} أي مثل هذا العذاب الذي عذب الله به أصحاب الجنة- في الدنيا- عذاب الله لمن عصاه، { وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ..} أشد وأعظم، { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : 33] أي لو كانوا يعلمون ما عصوا أمر الله، لما كانوا على هذا الحال، فلو كانوا يعلمون ما عصوا أمر ربهم أبدًا.

هذه القصة تستحق التأمل والتدبر، فإن الله عز وجل بيَّن من خلال هذه القصة أن أهل قريش سيَحِلُ بهم هذا العذاب مثلما جرى على أصحاب الجنة، وسيكون على كل أمم من الأمم إذا تكبروا ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين سيكون مصيرهم كمصير أصحاب الجنة، فهكذا عاقبة من بخل واستغنى، وكل من أضمر الشر ونوى السوء.

○ معـــاني القصة

هذه القصة تقول لكل من يتهرب من إخراج الزكاة، تقول له: إتق الله حتى لا ينزل بك العذاب الأليم، اجعل في ذلك تلك الساعة التي ستفارق فيها الدنيا، وساعتها ستترك أمولك كلها، وتتمنى ساعتها لو ترجع إلى الدنيا من أجل أن تفعل شيًا واحدًا، وهو أن تتصدق في سبيل الله،{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ، وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون :9-11].

قصة أصحاب الجنة ما هي إلا رسالة من الله، يذكر الناس فيها أن كل من ينفق ماله في سبيل الله ويعطي حق الفقراء والمساكين، فإن البركة ستنزل عليه، والله سيبارك له في ماله ونفسه وعياله، كما فعل مع الرجل صاحب الجنة والد هؤلاء الذين طغوا وبخلوا، فكما كان الله عز وجل جوادًا كريمًا على والدهم لما جاد على أولئك الفقراء والمساكين، فكذلك الأمر "الجزاء من جنس العمل".

قصة أصحاب الجنة تذكر الناس أن كل أمة تمنع الزكاة، وكل غني يبخل بأمواله، وكل من يتفنن في الهروب من إخراج الزكاة، فعقوبته الهلاك والدمار وضياع المال، كما حصل لأصحاب الجنة.

يا أهل الأموال، يا أهل الثمار، يا أهل الكنوز، يا من ملكتم الدنيا تذكروا أن الله أنعم عليكم بهذه النعم، فإياكم وكفران هذه النعمة، اشكروا ولا تكفروا، أدّوا ما فرض الله عليكم وتذكروا { وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل : 112]، فأخطر لباسين الجوع والخوف، لذلك قال الله عز وجل لأهل قريش مذكرًا لهم بهاتين النعمتين العظيمتين خاصة { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ،الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} [قريش :3 و4].

- **ما الدروس المستفادة**

○ محاربة الإنسان أمراض شح النفس والبخل

ضرورة محاربة الإنسان -في ذاته- لأمراض شح النفس والبخل، لأن في المال حق معلوم للسائل والمحروم، وأن الذي لا يخرج هذا الحق معرض للعقاب الإلهي، قال الله: { ..وَأُحْضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [النساء : 128]، وقال سبحانه وتعالى: { ..وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر : 9]، وروى مسلم من حديث جابر، أن رسول الله ﷺ قال : "واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دمائهم، واستحلوا محارمهم"، روى أبو داود والحاكم وصححه الألباني، من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجر ففجروا"، وفي الحديث الذي رواه النسائي والحاكم وصححه الألباني، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا"، وصفه من لا ينطق عن الهوى بوصف بالغ الخطورة، وقال رسول الله ﷺ في شأن شح النفس:
" ثلاث مهلكات هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه".

فجعله الثلث من أسباب البلايا والمهلكات، و الثلث كثير، وجمعه مع مقدمات الفتن والأمارات بين يديها، كما في الصحيحين من أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يتقارب الزمان، ويُقبض العلم، ويُلقى الشح ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج".

فإياكم وشح النفس، إياكم والبخل فإنه (أدوى) الداء، تصدقوا عباد الله، فإن الصدقة برهان، تصدقوا عباد الله فإن الصدقة تطفأ الخطيئة كما يطفأ الماء النار، تصدقوا عباد الله فإن الصدقة -لا سيما في السر- تطفأ غضب الرب، تصدقوا عباد الله فإن الإنسان يأتي في ظل صدقته يوم القيامة، تصدقوا عباد الله، فالصدقة من أدلة الصدق، لأن المال -وإن كان محببًا إلى النفوس- فإنه إن أخرجه الإنسان طواعية به نفسه نَزَّله ربه تبارك وتعالى في منازل السعداء، ولذلك ذكر الله عز وجل أهل الإيثار { ..وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ..} [البقرة : 177]، وجعل ذلك من صفات اهل التقوى، فقال في آخر صفات أولئك {..أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة : 177].

تصدقوا، فالصدقة ربما تكونوا البداية لعلاج كثير من الآفات، فلربما كثير منكم يسمع هذا الكلام، ويقول نحن لسنا من الأغنياء، نحن لسنا ممن جاء ذكرهم في أصحاب الجنة، ولكني أقول حتى ولو كان الأمر كذلك، لا تظنون بأي حال من الأحوال أنكم خارجون عن هذا، لأنه إن لم يتعافى الإنسان من داء الشح والبخل وهو لا يتصور أبدًا أنه كذلك، فإن العاقبة ستكون عليه وخيمة، ثلاث مهلكات.

إذن الفائدة الأولى من قصة أصحاب الجنة أن الإنسان منا لا بد لا بد أن يعالج نفسه من ادوى الأدواء، من أخطر الأمراض((شح النفس)).

وجزب اخراج الزكـــاة

الأمر الثاني من فوائد هذه القصة أن عدم إخراج الحق الشرعي من الزكاة مثل: زكاة المال والزروع، هو صورة من صور بطر النعمة، صورة من الصور التي تؤدي إلى داء آخر من الأدواء، أو تدل عليه وهو داء الكبر والإستعلاء، والنبي صلى الله عليه وسلم لما عرف الكبر قال: " بطر الحق، وغمط الناس"، فإذا كان الإنسان يغمط الحق ويبطر بالنعمة، فليعلم أن هذا نذير شؤم، ونذير حرمان من النعم، " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه"، فلا بد أن يُعلم هذا جيدًا، وأن ينشر ذلك بين الناس، ووالله لو أننا طبقنا قانون الإسلام وشريعة الإسلام في هذه الفريضة العضيمة -فريضة الزكاة- وإذا أحدثنا هذا النوع من التكافل لحلت مشاكل المسلمين الإقتصادية، ولكن أناس يبخلون.

حكمة الإبتلاء

والأمر الثالث من فوائد هذه القصة: أن من وظائف إبتلاءات الناس في الدنيا إيقاظهم من الغفلة، هذه حكمة الإبتلاء، فمن فوائد الإبتلاء إيقاظ الناس من الغفلة، وإحياء ضمائرهم من أجل تصحيح مسار حياتهم، فالله يبتلي ليهذب لا ليعذب، فليس ما نزل بأصحاب الجنة عذاب إن نظرنا إلى ما آل إليهم أمرهم في النهاية من التوبة والأوبة، فمن وظائف الإبتلاء إيقاظ الناس من الغفلة وإحياء ضمائرهم.

اختلاف الابتلاءات

ومن فوائد هذه القصة ايضًا: أن الإبتلاء كما يكون بالشر يكون بالخير، فليست إفاضة المال والجاه والسلطان دومًا من علامات رضا الله، و ليس الفقر والمرض وغير ذلك من الإبتلاءات دومًا دالاً على سخط الله، هنا إبتلاهم الله عز وجل بالمال والسلطان وبكثرة الرزق ليستخرج منهم عبودية الشكر، فلما قابلوا هذه النعم بالبَطر، كان القانون الإلهي { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم : 7].

محاسبة النفس

الفائدة الخامسة من فوائد هذه القصة: أن على الإنسان- على كل الإنسان- أن يكتشف أخطاءه في هذه الدنيا وأن يحاسب نفسه، و يقوم بتصحيح هذه الأخطاء فور اكتشافها، فإن باب التوبة مفتوح لكل تائب إلى أن يغرغر، فمن هنا كان واجب العقلاء من عباد الله أن يداوموا على الإستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تبارك وتعالى من قبل أن يفوت أوان ذلك، فبادر بالتوبة قبل أن تغادر هذه الحياة.

تكافل المجتمع المسلم

من فوائد هذه القصة كذلك: أن تكافل المجتمع المسلم فريضة من الله تجب على كل مسلم، { وَمَن أحيَاهَا فَكَأَنَّمَا أحيَا النَّاسَ جَمِيعًا}[المائدة 32]وينبغي أن نحيي هذه السنة المهجورة كثيرًا بين المسلمين اليوم، ينبغي أن نساعد على إحياء فريضة التكافل بكل ما نستطيع من جهد ومال، فالدنيا هي مزرعة الآخرة.

- ما يخفى على العباد لا يخفى على رب العالمين

الفائدة السابعة من فوائد هذه القصة: أن ما يخفى على العباد لا يخفى على رب العالمين، إن كان أولئك قد أسروا بمخططهم الخبيث، فإن الله تبارك وتعالى{لاَ يَخفَىٰ عَلَيهِ شَىءٌ فِى الأَرضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ}[آل عمران5] لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لا يخفى عليه مثقال ذرة، فالله يكافيء المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء في إساءته، فلا تغتر أيها العبد وتظن أنك بحيلتك ومكرك ودهائك أنك ناج من عقاب الله، فإن الله سريع الحساب، وإن الله عز وجل يمهل العباد فإذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

- الحرمان الحقيقي في الدنيا هو في البعد عن أوامر الله

من فوائد هذه القصة:كذلك أن الحرمان الحقيقي في الدنيا هو في البعد عن أوامر الله، فلما ابتعد أولئك عن أمر الله- والدنيا كما قلنا مزرعة الآخرة- ولا يمكن للزارع فيها أن يفلح بغير الهداية الربانية، بغير امتثال أمر الله، كانت العقوبة ما نزل بهم من الحرمان.

- الرزق من الله

ومن فوائد هذه القصة- الفائدة التاسعة-: أن الرزق من الله، وكل ما هو من الله لا يمكن أن يطلب بمعصية الله، فلنكن على يقين من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن ما عند الله- أي من الرزق- لا ينال إلا بطاعته"، لو أننا كنا على يقين من ذلك لما عصى واحد منا ربه أبدا، إذا كان يطلب الرزق، يطلب المال، يطلب الصحة ، يطلب العافية، يطلب البركة، يطلب الزوجة، يطلب الأولاد، يطلب ويطلب... من الأرزاق، ثم هو بعد ذلك لا يوفق لذلك، فليعلم أن من وراء ذلك ذنب، فإنه لا يُمنَع الرزق إلا بالذنوب، كما قلنا وبينًّا " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

- وجوب الإستثناء فيما يَعُدّ الإنسان

من فوائد وأحكام هذه القصة- الأمر العاشر-: وجوب الإستثناء فيما يَعُدّ الإنسان، و فيما يَعِدُ بفعله، لذلك قال: {وَلَا يَستَثنُونَ} [القلم : 18]، ومن ترك الإستثناء فليعلم أن هذا سيكون سبب من أسباب الحرمان، {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً، إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ..} [الكهف : 23،24]، و في الحديث الذي في الصحيح- حديث أبو هريرة- لما قال سليمان عليه وعلى نبينا السلام: "لأطوفن الليلة على تسعين إمرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، وقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا، فلم تحمل منهن إلا إمرأة واحدة، وجاءت بشق رجل. وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون". إذا لو قال إن شاء الله لكان ذلك سبب للظفر بالمطلوب، لذلك في رواية أخرى قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان دركًا في حاجته". أي كان متحققا له ظافرًا بما أراد.

الخوف من بأس الله

الفائدة الحادية عشر: وجوب الخوف من بأس الله والحذر من أسباب النقم، فإن بأس الله يأتي على غرة والإنسان نائم، (سادر) في غفلته، {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ، أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف 97: 99]، نسأل الله العفو والعافية، نسأل الله العفو والعافية، نسأل الله العفو والعافية.

ويمكرون ويمكر الله،

الفائدة الثانية عشر: ويمكرون ويمكر الله، الأمن من مكر الله من كبائر الذنوب، فهنا مكر الله بأصحاب الجنة حيث أتلف جنتهم من غير أن يشعروا بشيء من ذلك، لذا قاموا في الصباح مسرعين مستخفين من شدة بخلهم وكراهتهم للمساكين، وعاملهم بنقيض قصدهم، فلما مكروا مكر الله بهم ولما كادوا كاد الله بهم، إذن الحذر من مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

العزم على الفعل يُنزَّل منزلة الفعل

الفائدة الثالثة عشر: أن العزم على الفعل يُنزَّل منزلة الفعل، هؤلاء لم يفعلوا، فقط عزموا على فعل شيء من هذا، فالعزم الجازم يُنزَّل منزلة الفعل في الخير والشر، فصاحب القصد السيء يعاقب بنقيض قصده، إذن الفائدة الثالثة عشر: لو إن الإنسان لو هم بسيئة فلم يصنعها تكتب له حسنة، أما إذا عزم عليها عزما جازمًا فإنه يُنزَّل منزلة الفعل فكأنه فعلها.

سنن الله فى الكون معاقبة صاحب القصد السيئ بنقيض قصده

الفائدة الرابعة عشر: أن من سنن الله في الكون معاقبة صاحب القصد السيئ بنقيض قصده.

عدم الاجتماع على الباطل

الفائدة الخامسة عشر: قبح (التمالأ) على الباطل، قبح أن يجتمعوا الناس و(يتمالئوا) على فعل الباطل، وهذا ما حدث من الإخوة الأربعة.

شدة وقع فوت على من اشتد طمعه

من فوائد تلك القصة كذلك: شدة وقع فوت على من إشتد طمعه واستكمل قوته على المطلوب، عادةً الإنسان لما يصاب بالشَرَه يصبح طماع شديد الطمع، فإن الله عز وجل يبتليه بحسرة بالغة، فشعوره بفوات مطلوبه يكون من أشد العقوبات النفسية عليه، شدة تحسر أهل الطمع وسوء عاقبتهم .

- العلم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى

الفائدة السادسة عشر: أن من أسباب التفاضل بين الناس: العلم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، فالرجل الصالح الناصح الذي كان خامس أولئك -الأخ الخامس- لما كان عنده من العلم والمعرفة ذكره الله عز وجل، وأثنى على فعله وعلى نصحه لإخوانه، وهذه من فضائل من كان عنده العلم ودعا إلى الله بإحسان، وعلى نقيض ذلك أنظروا إلى سوء عاقبة الإعراض عن النصيحة، فلو أنهم انتصحوا بنصحيته لما حل بهم ما حل.

- التسبيح والذكر

الفائدة السابعة عشر: أن التسبيح والذكر يمنع صاحبه من التمادي في العصيان، ويعصم من العقوبة، قال الله جل وعلا: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الصافات : 143،144]، انظروا إلى هذا لأننا سنحتاج إلى ذلك لما نربط آخر السورة وقصة ذي النون مع قصة أصحاب الجنة، الرابط بينهم من الروابط بينهم أنه هنا وهنا ذكر أمر التسبيح كعلاج ومخرج من هذه النقم، هنا لما قال العبد الصالح لهم: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم : 28]، وهنا يقول الله جل وعلا في شأن ذي النون {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[الصافات : 143،144]، {..وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ، لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : 48].

- الاعتراف يهدم الاقتراف

الفائدة الثامنة عشر: الإعتراف يهدم الإقتراف، فإن أصحاب الجنة لما اعترفوا بذنبهم وسبحوا ربهم كان هذا موجبًا لتوبة الله عليهم، فالله عز وجل ذكر في خاتمة هذه الآيات قال قولهم: { عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ} [القلم : 32]، فكأن في ذلك الإشارة إلى قبول الله عز وجل توبتهم لما اعترفوا بذنبهم، على معنى " أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي"، كما قال ﷺ: " إن العبد إذا أذنب فاعترف ثم تاب، تاب الله عليه".

- المعصية الجماعية توجب اللوم والعتاب

من فوائد تلك القصة كذلك: أن من موجبات المعصية من جماعة من الناس- المعصية التي تكون جماعية- أنها توجب اللوم والعتاب، وأن هذا ربما يكون سببا في توبة أولئك، إذا أذنب مجموعة من الناس فحُقَ عليهم ألا تأخذهم العزة بالإثم، فحق عليهم أن يلوم بعضهم بعضا، وأن يعرفوا أن سبب نزول النقم عادة هذه المعاصي وطغيان الأنفس، فالرجوع إلى الحق فضيلة، فالفائدة التاسعة عشر: الرجوع إلى الحق فضيلة والتلاوم من أجل ذلك لا ينبغي أن تأخذ الناس العزة بالإثم، فيتركوا هذا التناصح وهذا التلاوم، أن لوم أصحاب الجنة بعضهم بعضا جعلهم يعترفون ويقرون بخطاياهم، وكان ذلك سبب في توبتهم وأوبتهم.

- النَدم توبة

من الفوائد الفائدة العشرون: أن الندم توبة أن حسن الظن بالله عز وجل من موجبات التوبة لله تبارك وتعالى، قصة أصحاب الجنة تعلمنا كيف نتوب إلى الله تبارك وتعالى، فلما ندموا وأحسنوا الظن في الله تبارك وتعالى { عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ} [القلم : 32]، كن ذلك سببا في قبول توبتهم، وفي حصول الخير لهم.

- إتلاف المال هي سنة ماضية في كل من بخل

من فوائد تلك القصة كذلك: أن ما عاقب ربنا تبارك وتعالى به أصحاب الجنة هو سنة ماضية في من عصاه، وبخل بما أوجب الله عليه، قال الله جل وعلا: { قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين} [الأنفال : 38]، فمن عذاب الله ومن عقوباته إتلاف المال، إتلاف المال هي سنة ماضية في كل من بخل وعصى الله عز وجل بذلك.

- إثبات القياس

من فوائد هذه القصة كذلك: إثبات القياس {كذلك العذاب...}[القلم 33]، وهو أن حكم الشيء حكم نظيره سواء بسواء، إثبات القياس {كذلك العذاب....} [القلم 33].

- تذكير الناس بعقاب الله لأهل المعاصي في الآخرة

من فوائد هذه القصة: أن ما يبتلي الله عز وجل به العباد من أنواع العقوبات حتى وإن كان ما فيه من العذاب والعقوبة الشديدة فإنه لا يقارن بما يكون من عذاب الآخرة، هذه الإبتلاءات لتذكير الناس بعقاب الله لأهل المعاصي في الآخرة، لذلك قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: " إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة".

- لا تلازم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة

الفائدة الرابعة والعشرون: أنه لا تلازم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وقد يعذب ربنا تبارك وتعالى العبد في الدنيا ويعفو عنه الدنيا الآخرة، وقد يعذّب في الآخرة دون الدنيا، وقد يُجمع له بين العذاب في الدنيا والعذاب في الآخرة، فنعوذ بالله من أسباب سخطه، ومن حلول نقمته على العباد.

- من فضل الله المعاقبة في الدنيا

الفائدة الخامسة والعشرون: أن من فضل الله على العبد أن يعاقبه في الدنيا ليخَفف عنه أو لينجو من عذاب الآخرة، وذلك يشهد له الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي واللفظ له، وقال الهيثمي (رجاله أحمد) رجال الصحيح، قال رسول الله ﷺ : "إن أراد الله بعبده الخير عجل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة".

هذه خمس وعشرون فائدة من فوائد هذا القصة العظيمة وهى فيها من الدروس والعبر أكثر من ذلك، أنا أريد أن ختم بذكر أمرين:

- **الخـــاتمة**

- خطورة الغفلة

الأمر الأول: خطورة الغفلة، ياجماعة الناس والله كلما قرأت قصة أصحاب الجنة في سورة القلم، أنا أتذكر دائمًا حال القلب وقد غفل وسهى، ونزل عقاب الله ربنا تبارك وتعالى ونحن ساهون لاهون غافلون، كما تأتينا مواسم الخير في رمضان في العشر الأول من ذي الحجة وغيرها في أوقات نتلمس فيها القلوب فلا نجد هذه القلوب.

على ذكر أصحاب الجنة الذين ناموا وهم وفي خير ويظنون أنهم وأنهم، فلما عاينوا الحقيقة وجدوا أنهم قد حرموا، إن من أفضل ما يهز الإنسان في هذه القصة قولهم {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [القلم : 27]، بل نحن محرومون، اللهم إنا نعوذ بك من الحرمان، اللهم إنا نعوذ بك من الحرمان، اللهم لا تحرمنا لذة القرب منك، اللهم لا تحرمنا لذة الإيمان بك، اللهم لا تحرمنا بذنوبنا خيرك علينا، اللهم إنا نعوذ بك من الغفلة، اللهم اللهم نعوذ بك من استحواذ الشيطان علينا، اللهم إنا نعوذ بك من أن نؤثر الدنيا، اللهم اجعلنا من أهل الذكر لك، ممن لا يغفلون عن الساعة كل ساعة، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ومن نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، اللهم إنا نعوذ بك أن نكون كما ذكرت في شأن أقوام {.....لَهُم قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُم أَعيُنٌ لاَّ يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُم آذَانٌ لاَّ يَسمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ}[الأعراف 179] ، {وَلِلّهِ الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا}[الأعراف 180] ، فاللهم عرفنا بك ، اللهم عرفنا بك، واجعلنا دائمًا على ذكرٍ بوصفك واسمك معظمين لقدرك وجلالك ياأرحم الراحمين ويا أكرم الأكرمين.

- القصة

وأختم بهذه القصة التي نستلهم منها الدرس والعبرة، فالسعيد من إتعظ بغيره، فيحكى أن رجلاً كان يجلس مع زوجته ذات يوم يأكلان الطعام، وإذا بالباب يطرق، وإذا بالطارق مسكين وكان أمام الرجل دجاجة، فقالت له زوجته: ألا اتصدق بها على هذا المسكين، فقال لها: بل إذهبي واطرديه عن الباب، ومرت الأيام وأصيب الرجل بالفقر وطلق زوجته، وبعدما طلقها تزوجت برجل آخر، وجلست مع زوجها الثاني يأكلان الطعام وكان أمامهما دجاجة، فطرق الباب طارق مسكين، فقال لها الرجل: خذي هذه الدجاجة وتصدقي بها على هذا المسكين، فأخذتها وأعطتها للمسكين، ورجعت المرأة تبكي، فقال لها زوجها: لماذا تبكين، أتبكين لأننا تصدقنا بالدجاجة؟ قالت: لا إنني أبكي لشيء عجيب، أتدري من السائل؟، قال: من؟، قالت: إنه زوجي الأول، فقال لها: أتعلمين من أنا؟، قالت: لا، قال: أنا السائل الأول.

فاللهم نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استاثرت به في علم الغيب عندك، أسالك ربنا أن تجعل القرءان ربيع قلوبنا ونور أبصارنا، وجلاء همومنا وذهاب غمومنا،

اللهم ذكرنا منه ما نسينا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا،

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك
اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

تم بحمد الله

الشيخ هاني حلمـــــــــــي